ابن خلدون

المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع




"اتباع التقاليد لا يعني أن الأموات أحيا،
بل أن الأحيا. أموات".
ابن خلدون



رجل دخل التاريخ من اوسع ابوابه , لم يكن ينوي او يحلم بان يصل الى مرتب العلى تلك ولم يخطط لذلك , قوته ومعرفته تلك نمت من حبه للعلم والدراسة رغم الألم الذي عاشه في مراحل حياته المختلفة بالإضافة الى تنقله بين الامصار , مما اكسبه القوة والجلد لتحمل تلك الالام وتحويلها الى ابداع , انه العلامة العربي

ابن خلدون .

ابن خلدون العلامة العربي الكبير [هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي .و خلدون هو الداخل الى الاندلس , و الحضرمي نسبة الى حضرموت من عرب اليمن. ولد من اسرة اندلسيه شاركت في الحياة الفكرية والسياسية, وكانت قبلا من العرب اليمنية في حضرموت, ونسبة يرجع الى وائل بن حجر الذي كان

من كبار الصحابة تولى مهمة تعليم القران ونشر الاسلام في اليمن.] ▪

دخل جده خلدون الاندلس مع جيش الفاتحين, واشتهرت اسرته بالعلم و السياسة ... ثم رحلت عائلته الى المغرب, حيث استقرت في تونس وهناك ولد ابن خلدون(732هـ _1332م) . تربى في كنف والده رجل العلم, ثم تلقى مختلف العلوم على ابرز علماء عصره وخصوصا محمد ابن ابراهيم الابلي التلمساني.

وهو رجل اسهم ازدهار العلم وعمل على نقله نقله نوعيه , واسهم في السياسة والتاريخ الكثير حتى انه عمل على انشاء علم جديد اسماه علم العمران ... وهنا في هذه الدراسة نعرض الحجج والوسائل التي تدافع وتثبت بالمراجع والدراسات القاطعه انه هو المؤسس الشرعي والاول لعلم الاجتماع منذ اكثر من خمسة قرون.

.

وكانت الاحداث البارزة التي اثرت في حياته وتكوينه العلمي والسياسي :-

_ مرض الطاعون الذي شاهده وهو يحصد البلاد والعباد .

_ تجربته السياسية الخاصة التي تراوحت بين تقليده اعلى المناصب ودخوله السجن اكثر من مره .

_ تكوينه الثقافي المثلث الابعاد : الاسلام , و الفلسفة العربية واليونانية , والحياة الاجتماعية البدوية و الحضرية بكل ما فيها من سلبيات وايجابيات .

ابن خلدون وعلم الاجتماع

الأسباب التي دعت ابن خلدون الى وضع منهج وعلم جديد اسماه علم العمران انه [قد رأى ان كتب المؤرخين من قبله قد اشتملت على كثير من الاخبار غير الصحيحة , وانه من الواجب ان يتخلص التاريخ من هذه الطائفة من الاخبار حتى تعطي صوره صادقة لأحوال المجتمعات , وحتى لا تختلط في اذهان الناس الحقائق الصادقة بالأمور الملفقة الزائفة .]



ومن المفكرين الذين اعتبروا انفسهم مؤسسين لعلم جديد وأسموه علم الاجتماع هو **اوجست كونت** , فإذا كانت بعض الاراء والعقائد و الافكار التي تربط الانسان بالمجتمع في حالة فوضى , فان هذه الفوضى لا ترجع في نظر كونت الى مجرد اسباب سياسية , بل الى نوع من الاضطراب في المبادئ العقلية , أي الى عدم وجود مبادئ مشتركة بين جميع العقول. و مواجهة مشكلات المجتمع لا تتطلب تغيير الاساس الاقتصادي للمجتمع , وانما تغيير منهاج الفكر و يأتي الاصلاح العلمي و القضاء على الفوضى العقلية بإنشاء علم جديد يدرس ظواهر المجتمع دراسة علمية وصفية .



[والأسباب التي دعت **ابن خلدون** الى هذه الدراسة اسباب واقعية صحيحة فعلم التاريخ كان الى عهده مملوءاً بالأخطاء , ومعظم هذه الاخطاء كان منشؤها الجهل بالقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع . اما الاسباب التي دعت اوجست كونت الى هذه الدراسة فقد كانت اسبابا خيالية استمدها من فلسفته ومن فهمه الخاص لتطور التفكير الانساني ومن مبادئه المبيتة من قبل , ولم يستمدها من الواقع ولا من الملاحظه الوضعية لحقائق الامور .]

ابن خلدون و التغير والتطور التاريخي للمجتمعات

[تناول ابن خلدون نشوء المجتمعات البشرية وتطورها , وأسباب التغير وأوجهه , فقد عزى التغير الاجتماعي في غالبه الى تغير وتباين في نحل او سبل العيش , وجعل مراحل التطور بين نموذجين اساسيين هما : البداوة والحضر , فأظهر خصائص كل مرحلة وخاصة من حيث الروابط (العصبية) , واوجه الحياة , وخصائص مؤسسات كل مرحلة . لقد حاول ابن خلدون ان يبين ان المجتمعات الانسانية تتبدل من البسيط البدائي , الى اشكال اكثر تعقيدا , وبهذا تعتبر هذه المحاوله من المحاولات الاولى , لوضع مخطط لنظرية اجتماعية لتفسير نشوء المجتمعات الانسانية وتطورها .]

رغم ان **ابن خلدون** تحدث عن فكرة المجتمعات وتطورها الا انه لم يكن الوحيد الذي تطرق لها فقد حاول من بعده كونت تفسير التطور التاريخي للمجتمعات , وقد وضع ما يعرف "بقانون المراحل الثلاثة :

المرحله الاسطورية اللاهوتيه
والمرحلة الميتافيزيقية
والمرحلة الوضعية

تعني المرحله الاولى تفسير وجود الظاهرة بقوة غيبية هي مسئوله عن وجودها

اما المرحله الثانيه فتتصف بالتجديد غير المؤسس على اساس الواقع وفي الغالب بافتراض قوى بالظاهرة غير موجودة في تكوينها

اما المرحلة الثالثه فهي المرحله العلميه التي نلتزم فيها بدراسة عناصر الظاهرة , وعلاقات تلك العناصر أي تناول الموضوع كما هو في الواقع

وهنا نرى العرض التام لكونت وفكرته عن تطور المجتمعات وكيف ان التطور لا يحدث مباشرة ودفعة واحده وإنما على مراحل , وهذا ما اشار اليه في السابق ابن خلدون رغم اختلاف مجالات التطور عند الاثنين الا انهما اشتركا بكون المجتمع الانساني يتطور على مراحل وليس دفعة واحده . في حين نرى ماركس الذي اعتبر ان سبب تغير المجتمعات وتطورها هو تغير في وسائل الانتاج و اساليب المعيشة وهنا يتفق مع ابن خلدون في بعض النواحي حيث تغير وسائل الانتاج يؤدي الى تغير وسائل وطرق المعيشة وبالتالي تطور المجتمعات .

وقد أبرز ماركس اهمية العوامل الاقتصادية في تغير المجتمعات . فجعل تطور المجتمع نتيجة لتغير علاقة وسائل الانتاج وعلاقاته . فوسائل الانتاج وقواه تتبدل بدرجة اسرع من تبدل علاقات الانتاج مما يحدث خلالها يؤدي الى وجود جماعة (طبقة) تملك وسائل الانتاج , وأخرى تعمل لدى هذه الطبقه (البوليتاريا), وهنا تتباين مصالح الطبقتين , الاولى تسعى الى لإبقاء امتيازاتها , والثانية تسعى لتغير الحال ولتحسين احوالها , مما يؤدي الى "الصراع الطبقي"

.

رغم اتفاق الثلاثة مفكرين على ان المجتمعات الانسانية في حراك دائم وتطور مستمر الى انهم اختلفوا في العامل المؤدي الى احداث التطور والتغير فقد اعتبر كونت ان التطور العقلي هو اساس التغير واختلف بذلك مع ماركس وابن خلدون الذين رأوا ان العامل المادي اساس التغير , إلا ان الاسبقية بطرح الفكرة _ فكرة تطور وتغير المجتمعات _ تعود الى ابن خلدون , فقد كانت محاولته هى المحاوله الاسبق لتفسير اسباب التغير ولكن لم يكملها الى النهاية , ولم يأتي بعده من يكملها إلا مجموعة علماء من اوروبا وهم بالتالي يعلنون ان لهم الاسبقية في هذه الفكرة , لكن التاريخ سجل الفكرة باسم **ابن خلدون منذ قرون** .

ابن خلدون و الاقتصاد

ان ما توصل اليه **ابن خلدون** فيما يتعلق بالعامل الاقتصادي و الصناعة بالتحديد الى انه عامل اساسي ومهم في نشوء الامم وبقائها وتطورها . [يركز ابن خلدون على الصناعة جاعلا منها السبب الاساسي في الازدهار الحضاري :" ان الصنائع انما تكتمل بكمال العمران الحضري وكثرته ... ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها "

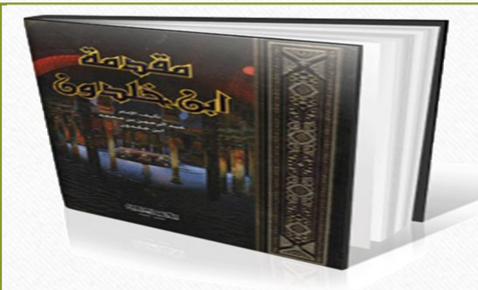
رغم كون **ابن خلدون** قد تحدث في علمه عن هذه الفكره إلا انه ليس الوحيد الذي تحدث عنها فقد طرحها بعدا منه **ماركس** ضمن افكاره التي طرحها فيما يخص العوامل الاقتصادية وأثرها على العمران . [في حين ابرز ماركس اهمية العوامل الاقتصادية في تغير المجتمعات. فجعل تطور المجتمع نتيجة لتغير علاقة وسائل الانتاج وعلاقاته . فوسائل الانتاج و قواه تتبدل بدرجة اسرع من تبدل علاقات الانتاج مما يحدث خلالها يؤدي الى وجود جماعة (طبقة) تملك وسائل الانتاج , وأخرى تعمل لدى هذه الطبقه .

وبالرغم من تكلم **ماركس** عن اهمية العوامل الاقتصادية بطرحه لها كسبب مهم لتقسيم العمل وإحداث التغير إلا ان المتتبع التاريخي لها يلاحظ كما عرضنا بان الاسبقية في طرح الفكره كان **لابن خلدون** , وبالتالي يكون ابن خلدون هو صاحب الفكره .

السياسه عند عالم الاجتماع ابن خلدون

عقد ابن خلدون فصلا أكَّد فيه: أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها. قال: (والسبب في ذلك - كما قدمناه: أن الصبغة الدِّينية تذهب بالتَّنافس والتَّحاسد الذي في أهل العصبية، وتُفرد الوجهة إلى الحق. فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم: لم يقف لهم شيء؛ لأن الوجهة واحدة، والمطلوب متساوٍ عندهم، وهم مستميتون عليه، وأهل الدَّولة التي هم طالبوها - إن كانوا أضعافهم - فأغراضهم متباينة بالباطل، وتخاذلهم لِتَقيَّة الموت حاصل، فلا يُقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم، بل يغلبون عليهم، ويُعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذُّل كما قدمناه .

شغل ابن خلدون بالسياسة الواقعية، ولم يحلق وراء الطوبويات كجمهورية أفلاطون أو مدينة الفارابي، وعني باكتشاف القوانين الطبيعية التي تحكم الأمم والمجتمعات، والتي سماها (طبائع العمران)، فهو أبو علم (العمران السياسي) أو علم (الاجتماع السياسي)، وهو باعتراف الغربيين أنفسهم أول من كتب في هذا العلم، حتى ذكر الشيخ رفاعة الطهطاوي في كتابه (تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز) أنه سمع العلماء في فرنسا حين إقامته في النصف الأول من القرن التاسع عشر يدعون ابن خلدون (منتسكيو الشرق أو الإسلام) ويسمون منتسكيو (ابن خلدون الفرنج)، ولا غرو أن أُطلق عليه: رائد علم الاجتماع السياسي الحديث



قصة الكتاب:

الكتاب الذي رفعت مقدمته ابن خلدون إلى مصاف كبار فلاسفة العالم. وهي كما قال توينبي، مستعيراً كلمة المقريزي: (عمل لم يقم بمثله إنسان في أي زمان ومكان). وفيها أرسى قواعد فقه التاريخ وعلم العمران. وهو علم أعثره عليه الله كما يقول، ولم يقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة. وموضوعه: (البحث في أسباب انهيار الدول وازدهارها). وأراد أن تجد به الملوك ما يغني عن (سر الأسرار) الذي ألفه أرسطو للإسكندر. وأنجزه أولاً في مدة خمسة أشهر، من عام (779هـ) أثناء إقامته عند بني العريف في قلعة بني سلامة بوهران. ثم نقحه بعد ذلك وهذبه وألحق به تاريخ العرب وأخبار البربر وزناتة، وأهداه إلى المستنصر أبي العباس، الذي تولى إمارة تونس من سنة(772 حتى 796هـ). انظر كلام ابن خلدون حول قصة تأليفه للكتاب في فصل أوله (الفيئة إلى السلطان أبي العباس بتونس) تتضمن قصيدة في (101) من الأبيات في إهداء الكتاب إليه. وانظرها في زاوية التعليق على الكتاب. وكانت هذه النسخة موجودة حتى عام (1858م). كما يفهم من كلام نصر الهوريني في نشرته (1858م). فلما ترك تونس إلى مصر عكف على تهذيب الكتاب والزيادة عليه، زهاء (20) سنة، فأضاف إليه الجزء الخاص بملوك العجم، وأقساماً أخرى ألحقها بمواضعها، وأهدى هذه النسخة للسلطان برقوق فنحله لقب: (ولي الدين). (وقد وصلتنا هذه النسخة بخطه، فرغ منها سنة 797) وانتسخ منها نسخة وقفها على طلبة العلم في جامع القرويين بفاس، في تحبيسته المشهورة والمؤرخة (21/ صفر/ 799

بعد هذا العرض البسيط الذي قمنا به لعدة افكار ظهرت منذ اكثر من خمسة قرون نرى هنا بان الفضل في ظهورها على ارض الواقع وفي مضمار الدراسة يعزى الى شخص ذو مقدره ومعرفه عقليه واسعه .

ومن هنا يظهر الفضل في انشاء علم الاجتماع شخص واحد ولا يرجع الى احد العلماء الاوروبيين كاوجست كونت وفيكو وكتليه كما يدعون , وانما يرجع الى فيلسوف عربي ظهر قبل هؤلاء جميعا بخمسة قرون ,وان هذا الفيلسوف قد اقام علمه على دعائم سليمة , ووصل في تنظيم دراسته ومعرفته الى درجه لم يصل الى مثلها احد قبله , وهذا هو العلامه العربي ابن خلدون .